

الإصلاحات التربوية في مرحلة التعليم ما قبل الجامعي بالجزائر في ضوء المطلوب و الموجود

ط د . إيمان بوعزة¹، د . زبيدة ساسي²

1- جامعة باجي مختار – عنابة -

imenebouazza2013@gmail.com

2- جامعة باجي مختار – عنابة -

Sasizoubaida23@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025 / 01 / 21 ؛ تاريخ القبول: 2025 / 03 / 04

Abstract

For two decades, educational voices have called for the adoption of modern reform paths that seek the psychology of learning to ward off what was prevalent in the traditional system that considers the learner a passive receiving vessel and the teacher a direct instructor who perpetuates dependence and dresses education in the guise of monotony that prevents the learner's creativity. Dramatization of the curriculum is one of these paths, and it is one of the effective artistic media that achieves the quality of the learner's output and stimulates his motivation in terms of acquiring information and facts, developing skills and appreciating values in an enjoyable manner that suits his competencies and takes into account the individual differences among the

learners. From this standpoint, we preferred to address the impact of dramatization of the curriculum in advancing education and learning as a relatively modern dimension capable of responding to educational requirements.

Keywords: Curriculum, dramatization, learner, learning.

ملخص

منذ عقدين من الزمن ، تنادت الأصوات التربوية بتبني مسارات إصلاح حديثة تتوخى سيكولوجية التعلم درءا لما كان سائدا في المنظومة التقليدية التي تعتبر المتعلم وعاء استقبال سلبي و المعلم ملقنا مباشرا يكرس التواكل و يُلبس التعليم لبوس الرتابة التي تحول دون إبداع المتعلم. و مسرحية المنهاج أحد هذه المسارات ، و هي من الوسائط الفنية الناجعة التي تحقق جودة مردود المتعلم و تحفز دافعيته من حيث اكتساب المعلومات و الحقائق و تنمية المهارات و تثمين القيم بأسلوب ممتع يوائم كفاياته و يراعي الفروق الفردية لدى جمهور المتعلمين، من هذا المنطلق أثرنا تناول أثر مسرحية المنهاج في النهوض بالتعليم و التعلم كونه بُعْدا حديثا كفيلا نسبيا لأن يستجيب لمتطلبات التعليمية.

الكلمات المفتاحية: المنهاج، مسرحية ، المتعلم، التعلم .

مقدمة

في ظل التغيرات الراهنة التي طالت الساحة التعليمية و التي تتمثل أبرزها في محور العملية التعليمية حول المتعلم بات من الضروري انتهاز طرائق حديثة توائم هذه المتغيرات من خلال تقديم مثيرات تعليمية تنأى عن النمطية ، تعين المتعلم على تحصيل المحتوى العلمي و تنمية المهارات و اكتساب القيم المختلفة وفق منحنى مسرحية المنهاج الذي يعد واحدا من طرائق الإصلاح الناجعة الي تضمن إلى حد بعيد نجاح سيرورة التعلم الحديث .

فما مسرحية المنهاج و كيف تؤدي ؟ ما جدواها ؟ و ما مكانتها في درج الإصلاحات التربوية الحديثة ؟ و كيف لمستقبل التعليم أن يخطو خطوة نحو الأمام بفضل هذه الوساطة ؟

مسرحية المنهاج: الماهية و الكيفية

تعد مسرحية المنهاج مكوّنا من مكونات التربية الفنية و نشاطا تعليميا هادفا ، تعتمد صياغة الدروس التعليمية في قالب مسرحي راق يغذي العقل و يمسّ شغاف القلب و يستهوي المتعلم و هو " ضرب من النشاط الفني الجماعي الذي يتكون كادره من التلاميذ و الطلبة تحت إشراف معلم أو مدرس مختص بفنون المسرح أو من هواته و المهتمين به . و تنتج المدرسة و تكون مسؤولة عن تقديمه ، و هو يقع في قالب ما يسمّى بمسرح التعليم " (عقيل مهدي يوسف ، الدار البيضاء، 2001، ص 62) و المسرحية التعليمية في أوجز تعريفاتها " وحدة كـلّية لا تتجزأ مكوناتها، و تتضمن تنظيم المحتوى التعليمي و تشكيله على هيئة مواقف في قالب مسرحي

، مع التركيز على العناصر و الأفكار المهمة ، ليقدم من خلالها الحقائق و المعلومات و المفاهيم للمتعلم داخل الصف من خلال مجموعة متكاملة من الأشخاص و المعدات و الإجراءات التي تشترك جميعا في تحقيق الأهداف التعليمية المرجوة " (عفانة عزوز و اللوح أحمد ، الأردن، 2008 ، ص 55). و عليه فالمسرح المدرسي نشاط تربوي مكمل للكتاب ، يؤديه مجموع متعلمين وسط الحجرة الدراسية " عن طريق إعداد بعض أجزاء المنهج الدراسي مسرحيا أي تحويل المنهج أو جزء منه إلى شكل مسرحي أي مسرحته و تقديم المادة الدراسية في لغة تتوافر فيها عناصر الفن المسرحي أو عناصر الدراما" (عبد المجيد شكري ، القاهرة ، 2004 ، ص 89) و يقصد بهذه العناصر الملحقات التي تضيء جوا مسرحيا يثير اهتمام المتعلم أثناء العرض من حبكة و تقمص شخصيات و ديكور و ملابس و موسيقى و إضاءة و إخراج . و تعتمد عملية المسرحة تقديم المحتوى التعليمي " بشكل غير مباشر من خلال وضعه في خبرة حياتية ، و صياغته في قالب درامي لتقديمه إلى مجموعة من الطلبة داخل المؤسسات التعليمية في إطار عناصر الفن المسرحي بهدف تحقيق مزيد من الفهم و التيسير " (حسين كمال الدين ، القاهرة، 2005) و تحقيق بالذكر ألا يجعل المعلم - بعده مخرجا - المسرحية وسيلة في ذاتها فيتنبع عن كذب كيفية الإعداد الدرامي مما يؤول إلى تضییع وقت هو ليس في غنى عنه ، و يغفل عن تحقيق الأهداف المتوخاة و هي تعليمية بالدرجة الأولى و ليست فنية ؛ لأنّ " الهدف الرئيس من المسرح المدرسي تنمية الشخصية و تسهيل التعلم للمشاركين ، و ليس الهدف منه إعداد ممثلين محترفين "

(سالم أكويندي ، الدار البيضاء ، 2001، ص 65) فالمسرحية التعليمية غاية لا وسيلة .

يكتسي المسرح المدرسي صبغة العمل الجماعي بإشراف المعلم و بأداء المتعلمين للعرض المسرحي في جو تسوده الفعالية و الإيجابية بنقل النص من إطار مكتوب إلى إطار شفهي حي ينبض حركة على ركح المسرح . و لا تتأتى هذه الفعالية إلا باقتفاء جملة مبادئ بإمكانها أن تحقق سهولة نقل المحتوى التعليمي وذلك بأن " يستخدم المدرس خشبة المسرح و الديكور و الإضاءة و الملابس ، يختار المدرس مع الطلاب نصا مسرحيا و تتم مناقشته و يعتمد اختيار النص على مبدأ الأبسط هو الأفضل ، يقسم المدرس الطلاب إلى قسمين قسم يقوم بالتمثيل و الآخر يراقب و عند تكرار المسرحية تتم عملية تبادل الأدوار ، يدخل الطلاب صالة العرض على أنغام الموسيقى لأن ذلك يسهم في خلق جو من الهدوء و النظام ، يجلس المدرس في مؤخرة الصالة أثناء العرض و يسجل ملاحظاته ، يوجه المدرس الطلاب لتحسين أدائهم مع المعلم و هذا يتطلب صبرا و معاناة و براعة و سعة خيال، و إذا تحول التوجيه إلى أوامر تتحول الدراما إلى المسرح المحترف و ذلك يقلل من قيمة العمل و يقضي على حماس الأطفال . ، يشجع المدرس الأطفال بعد العرض و يثني عليهم و يعزز ثقتهم بأنفسهم دون أن يسرف في الثناء و من الضروري أن يشعرهم أن التعاون في العمل يسهم في نجاحه " (حنان عبد العاني ، عُمان ، 2000، ص 160) فعلي المعلم أن يلتزم بهذه المبادئ و يوليها اهتماما ؛ إذ من شأنها أن تجعل المسرحية قيمة مضافة في العملية التعليمية .

و تتمثل فحوى المسرحية على " فلسفة تربوية مؤداها أنّ الطالب هو محور العملية التعليمية ، و أنّ التعليم ينبغي أن يقوم على الممارسة و التعليم الذاتي ، و أن تتحول المدرسة إلى بيئة تربوية تعج بالحيوية و النشاط و أن تكون على صلة قوية بالواقع و البيئة المحيطة بها ، ما يمد التلاميذ بدافعية قوية للتعلم" (جمال محمد النواصرة ، الأردن ، 2014.ص 18) فالمحتوى التعليمي يترجم واقعا و حسيا من خلال مشاركة المتعلم الخاصة التي تتوافق مع النظرية البنائية التي تنادي بذاتية الاكتساب من خلال توظيف جملة الخبرات التي تعين المتعلم على التواصل و استغلال أكثر من حاسة و كذا نقل المادة التعليمية إلى مواقف حيّة تلامس واقع المتعلم المعيش، ناهيك عن " مراعاة الجوانب النفسية للطالب في مراحل العمرية المختلفة ، فقد بينت الدراسات أنّ الطفل يميل بطبعه إلى اللعب و التمثيل الإيهامي و الرغبة في النشاط و الانطلاق " (شفيق الرقب ، سوريا ، ص 89-112) و هذا ما يرمي به في عالم المسرحية الهادفة .

جدوى مسرحية المنهاج:

لا يختلف اثنان في الدور الريادي الذي يؤديه المسرح المدرسي من حيث مساهمته في تكوين شخصية المتعلم من خلال تحصيله ملكات تفكير سليمة و الكشف عن قدراته و مواهبه و اكتسابه قيم مختلفة ، مما يجعله مسرحا نوعيا ذا خصوصية متفردة يتوخى أهدافا معرفية أولا فحسية حركية ثم وجدانية ...

إنّ الانتقال من التجريد النظري المكثف للمحتوي الدراسي إلى حيز التطبيق الممرسح يثري الرصيد اللغوي لدى المتعلم و و ينمّي قدراته و مهاراته التعبيرية كالاستماع و التحدث و هذا من خلال اللعب و أداء الأدوار و الارتجال و الإلقاء لأنّ " التمثيل الذي ينبع من داخل المتعلم يكون عفويا و تلقائيا ، و الأداء يعتمد فيه على عالم الطفل و حواسه و مداركه و تجاربه و رغباته ، ما يعمل على تطوير قدراته الجسدية "(جبر الدين سيكس ، القاهرة ، 2003) و لا يخفى على قارئ أن هذا النوع من الم——سرح إنّما سبيل لترسيخ القيم الدينية و الاجتماعية و الحضارية " نجملها في التحسيس بالمواطنة نشر و بث القيم الاجتماعية و تنمية الجانب الجمالي و التذوق الفني " (سالم أكويندي، ص 80 ، 81).

و تتلخص أهمية مسرحية المنهاج أساسا في " المتعة و الاتزان النفسي و القضاء على بعض المظاهر السلوكية السلبية كالخجل و الكبت و الخوف ، تعزيز ارتباط المتعلم بالمثل العليا ، بناء شخصيته و تكاملها و بناء علاقات اجتماعية من خلال العمل المسرحي الذي يعد عملا جماعيا بحتا ، وكذا تعويد الطلاب على استعمال الفصحى و اكتساب قدرات جديدة في العرض و الإلقاء و التكيف مع مختلف فالمواقف " (جمال محمد النواصرة ، ص38، 39) فجودة التعليم و

كفاية المعلم رهن لوضوح أهداف المسرح و تحديد هذه الأهداف هو المطلب الأساس و الأول من أجل التنفيذ الناجح للعملية التعليمية ، و عليه ف " إذا كان الهدف من التربية هو تكوين الفرد تكويناً شاملاً من النواحي الخلقية و الجسمية و العلمية و الوجدانية و غير ذلك من الجوانب و التي لا يولد فيها الفرد مزوداً بها ، فالمسرح يحقق كل ذلك إذا ما قد أنجز في إطار تربوي . و عن طريق التربية يتهدب السلوك ، يعتاد الإنسان الابتكار و يكتشف في الحياة ما يجعله أكثر ارتباطاً بالبيئة و أكثر فهماً لها " (حسني عبد المنعم حمد ، القاهرة ، 2008، ص 67) هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على فعالية دور الفن في التعلم لأن التربية بحسب منظورها الحديث وجدت نفسها في حاجة إلى الفنون الجميلة لاستخدامها كوسائل تقنية تعليمية ف " الفنون تزيد من التحفيز على التركيز ، و القدرة على الملاحظة الشخصية ، و الإدراك المبني من خلال زيادة المحصلة المعرفية الذاتية " (محمد المشايخ ، سوريا ، ص 505، 529) فالمحتوى التعليمي لا يتسنى نقله إلى ذهن الطالب بسهولة إلا عن طريق المسرح ؛ إذ تزرع في المتعلم التوكل على ذاته و تخاطب جميع الحواس و توقظها في البيئة التعليمية ، تعدل سلوكه و تحل المشكلات لأن المسرح ذو طاقة كبيرة في تحويل المجرّد إلى محسوس. و الهدف من التعلم و جب ألا يحتكر على الاكتساب

المعرفي فحسب بل وجب أن يرقى إلى الاستغلال الأمثل لقدرات المتعلم و تفجير طاقاته فمثلا " الفكر التربوي الحديث يؤكد أنّ كلما عايش المتعلم الموقف التعليمي و تفاعل معه ، كان ذلك أكثر تأثيرا في عقله و وجدانه و مهاراته و خبراته ، و بالتالي يترك أثرا كبيرا في تراكم خبراته " (أمير القرشي ، القاهرة، 2001) المتعلم يندمج إذا بفعالية و حيوية و يحقق اكتسابا ناجحا للمحتوى التعليمي، و عليه فهذه الممارسة تصيب المرمى و بفضلها يكون التعلم أجدى و أنفع استيعابا، و كذا فرصة سانحة لأن ينتقل المتعلم من الاستظهار إلى المحاكاة الواقعية فتتناسب المعلومات و المفاهيم و التصورات بسلاسة إلى أن تذلل الصعوبة و ترسخ المعلومة .

علاوة على هذا فالفعل المسرحي يسهم في " تحفيز المتعلم و إثارة اهتمامه للبحث عن المعرفة ، إبقاء التعلم لفترة أطول، تقديم خبرات حيّة و واعية ، كما يدعو التلميذ إلى القيام بالنشاط الذاتي و يمكنه من متابعة التفكير في المواضيع المطروحة حتى بعد الانتهاء من العمل المسرحي ، يسهم في تقوية الحس الزماني و المكاني و إبراز نقاط هامة في الحياة يفهمها الطفل ، يمكن التلميذ كذلك من أن يتخاطب مع نفسه و بيئته و يبدأ في فهم المعنى (السبب و الكيفية) فقد أثبت علماء النفس على أنّ استخدام الوسائل و المعينات خير من

الكلمة و الإلقاء و يؤكدون أنه كلما اشتركت أكثر من حاسة في استقبال لمعلومات كان التـعلم أسرع و نتائجه أجدى و أثبت" (حسني عبد المنعم ، ص 66) ناهيك عن تنميته ملكة الحفظ و تعويد المتعلم على الإلقاء و التعبير بعربية صحيحة و كذا معالجة بعض العيوب الكلامية مما يعزز استجابة المتعلم و إقباله على التعلم .

إن مسرحية المنهاج من أنجح الوسائل التربوية في التعليم تستمد مادتها من المنهاج الدراسي الذي يزخر بالموضوعات القابلة للمسرحة بفعالية و إيجاب ، و يطرح كوحدة تعليمية متكاملة الأبعاد من شأنها أن تقضي على جو الرتابة بإحياء النشاط و الحركية وسط القسم ، يساعد على ربط المواد الدراسية بعضها ببعض و يسهم في امتلاك القدرة على التعبير السليم . أضف إلى ذلك أثرها الفعّال في عملية التربية الذي يفوق أحيانا أثر التعلّم في حجرة الدراسة... و هكذا تبرز فعالية التمثيل في تبسيط مواد المنهاج و تحويل المادة الجافة إلى مادة سهلة الاستيعاب تسهّل مهمة المعلم في جو يسوده الترفيه و المتعة و الاستفادة ، ما يعزّز استثارة حماس المتعلم لعرض مسرحيات أخرى تحقق ذات المتعلم و تنمي كفاءاته المعرفية و تصقل الجانب الوجداني لديه ؛ لأن المتعلم في النشاط المسرح مركز الحدث و هو جزء لا يتجزأ من المنهاج .

المسرح المدرسي : واقع و آفاق:

إذا ما نظرنا إلى واقع المسرح المدرسي فإننا نلاحظ أنه نشاط تربوي يقام في المدارس نهاية العام الدراسي فقط، و لا يحظى بوسع الاهتمام ، فهو غير ملزم و لا يستغل إلا نادرا ، يكابد أساسا " قلة خبرة المتعلمين بالإشراف على المسرح المدرسي (...) ، عدم درج مادة المسرح ضمن الجدول الدراسي، عدم مراعاة الفروق الفردية (...) ، قلة الأساتذة الذين يدرسون مادة المسرح في كل من دور المعلمين و كليات التربية ، قلة النصوص المسرحية مع صعوبة مسرحية المنهاج ، عدم وجود مسارح بالمدارس لأداء هذا النشاط و عدم صيانة التآلف منها و لعل ذلك يتعلق بأسباب مادية و أخرى مثل ضيق المباني المدرسية ، تكدس اليوم الدراسي بالحصص و زيادة مقررات المناهج المقدمة (...) " (حسني عبد المنعم، 120، 119) و علي ، أضيف إلى ذلك إغفال المشرفين على دور مسرحية المناهج كوسيلة تربوية قبل كونه متعة و ترفيها ، ندرة النصوص المسرحية المناسبة للمواد الدراسية و افتقاره كذلك العتاد و التجهيز الفني المناسب للمسرح و غياب مادة المسرح ، كما يقف اكتظاظ الأقسام بالتلاميذ حائلا أمام تطبيق المسرحية من حيث الفضاء و التحكم في الوضع . صعوبات و أخرى تقف حائلا

أمام النشاط المسرحي و تعرقل مساره ، و بذلك يمكن القول أنه قاصر على حماس بعض المعلمين المدركين أهميته ، فبقي غالبا خاضعا للأهواء و ظل يعاني التهميش في الحياة المدرسية إن لم نقل الغياب شبه الكلي . بالمقابل تجدر الإشارة إلى أن بعض المواد الدراسية لا تستجيب لهذا برمجة فيستعصي الأمر على تمام المحاكاة ، فليس كل المناهج الدراسية مادة صالحة للمسرح و لذلك لا يمكن أن نلقي كل اللوم على المعلم الذي لا طاقة له بهذا الإجراء .

خاتمة:

ختاما فمسرحية المنهاج وسيلة لتقريب المادة العلمية و تبسيطها و هي ذات خصوصية فنية و قدرة خلاقة و مرونة لا تضاهي في استـجـلاء المحتوى التعليمي. و قد كانت و ما زالت محط اهتمام التربويين و المفكرين ؛لأنها تتواءم مع منحنى التعليمية الحديث . و على المعلم أن يؤمن جازما بأهمية هذه الوسيلة الفنية لأنها طريقة حديثة فعالة بأن تجعل من الوسط التعليمي خلية حية نابضة بإمكانها خلق جيل واع مبدع .

توصيات :

إذا أريد لمسرحية المنهاج أن تحقق أهدافها و تُؤتي أكلها على الوجه المرتضى ، و يجب ألاّ تنحصر في كونها نشاطا سنويا ينفذ نهاية العام الدراسي و مهملا تماما في بعض المدارس ، بل و يجب أن يتعدى ذلك و يصبح أكثر شمولية و ذلك بـ " إدخال مادة المسرح ضمن مناهج إعداد المعلمين و المعلمات ، عقد دورات تدريبية لفن مسرح الطفل يتخصص فيه أكثر من مدرب و مشرف (...):" (عقيل مهدي يوسف ، ص 87. 87)

أضف إلى ذلك :

- العمل على التأهيل الحق للمعلمين والمعلمات وتدريبهم على كتابة مسرحيات تعليمية تلائم المستويات العمرية للطلاب ، و تنمي الجوانب المتعددة لشخصياتهم ، و تتناسب مع الحجم الساعي المخصص للدرس من أجل توظيفها لتحقيق أهداف المناهج الدراسية - إنشاء فضاء مسرحي في المدرسة يكون مناسبا و مجهّزا يبعث على تحفيز المتعلم.

- تقويم الكتابات المسرحية و تكريم الجيدة منها .

فالتعليم إذا وجب أن ينشد التغيير و المسرح بإمكانه أن يحدث الطفرة و ذلك بتقديم المناهج بشكل جذاب ، فقد أتى على المنظومة التربوية حين من الدهر أن تُغير و تنبؤ المكانة التي تستحق من خلال التجسيد الفعلي للتصور الجديد الذي نادت به النظريات الحديثة و التي تتمحور حول المتعلم. و من المؤمل أن يُسدي هذا التغيير أداة نظرية تسمح لصناع القرار التربوي بإمكانية دمج مسرحية المنهاج ضمن إطار مشروع متكامل لإصلاح التعليم.

مكتبة البحث :

— جمال محمد النواصرة ، مسرحية المناهج الدراسية ، ط1، دار الحامد ، عمان ، الأردن ، 2014.

— سالم أكويندي، ديداكتيك المسرح المدرسي، ط1، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 2001.

— أمير القرشي ، المناهج و المدخل الدرامي ، ط1، عالم الكتب ، القاهرة، 2001.

— جبر الدين سيكس ، الدراما و الطفل ، ترجمة ميخائيل إملي ، ط1، عالم الكتب ، القاهرة ، 2003.

— حسني عبد المنعم حمد، المسرح المدرسي و دوره التربوي،
ط1، دار العلم و الغيمان ، القاهرة ، 2008.

— حسين كمال الدين ، المسرح التعليمي المصطلح و التطبيق ،
دط، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، 2005.

— حنان عبد العاني ، الدراما و المسرح في تعليم الطفل ، ط5،
دار الفكر ، عُمان ، 2000.

— عبد المجيد شكري ، المسرح التعليمي ، ط1 ، دار العربي ،
القاهرة ، 2004.

— عفانة عزوز و اللوح أحمد ، التدريس المسرح رؤية حديثة في
التعلم الصفي ،دط، دار المسيرة ، عمان الأردن، 2008.

— عقيل مهدي يوسف ، التربية المسرحية في المدارس ، ط1، دار
الثقافة، الدار البيضاء، 2001.

بحوث :

– شفيق الرقب ، المسرح التعليمي ، بحث مقدم إلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية (مؤتمر علاقة المسرح بالتربية و تنمية الذائقة الفنية من الطفولة حتى الشباب) جامعة دمشق ، 21- 23 تشؤين الثاني ، ، سوريا، 2005 .

– محمد المشايخ ، المسرح و تأثيره على شخصية الطفل : بحث مقدم إلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية (مؤتمر علاقة المسرح بالتربية و تنمية الذائقة الفنية من الطفولة حتى الشباب) جامعة دمشق ، 21- 23 تشؤين الثاني ، سوريا، 2005.